خطبة صلاة الجمعة 23/ 1/ 2026 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(قيم إنسانية – التعاون)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 161-163].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمِ الأخلاق».

أيها الإخوة:

هذه مجموعة من الخطب تتحدث عن قيم إنسانية.

القيم هي المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويجعلونها ميزانًا يزنون به أقوالهم وأعمالهم.

وإنما سميت القيم قيماً لأن بها قِوامَ الإنسان والحياةِ الكريمة.

وإنا سميت القيم قيماً لأن الأقوال والأفعال والأشياء بها تُقَوَّم وتوزن.

وإنما سميت القيم قيماً لأنها مستقيمة لا تنحرف ومنه قوله تعالى: (ديناً قيماً) أي مستقيماً.

وإنما سميت القيم قيماً لأنها الحارسة للفطرة والراعية لإنسانية الإنسان ومنه قولنا قَيِّم المسجد، أي راعيه وحارسه.

فالقيم بها تقوم الحياة الكريمة، وبها تُقَوَّمُ الأقوال والأفعال وتوزن، وهي الحارسة للفطرة الراعية لإنسانية الإنسان، وهي المستقيمة التي لا تنحرف.

ونحن بعد أن أكرمنا الله تعالى بالفتح أحوج ما نكون لتعزيز القيمِ النبيلة، وهذه مجموعة من الخطب تعرض كل منها لقيمةٍ إنسانيةٍ، لا تظهر إنسانية الإنسان إلا بها، ولا تستقيم علاقاتنا الاجتماعية إلا بها، ولا تقوم لنا قائمة إلا بها.

تحدثت خطب ماضية عن الاحترام وعن العلم وكانت وعن العمل خطبة الأسبوع الماضي عن تحمل المسؤولية.

عنوان خطبة اليوم: **قيم إنسانية**

– التعاون–

أيها الإخوة:

الإنسان كائن اجتماعي، جمعي بفطرته، يسعى للتواصل مع الآخرين والتفاعل معهم، يحب الناس ويأنس بهم، ويرضيه التعاونُ وتكوينُ مجتمعات، ويسعده صلةُ الرحم وإغاثة الملهوف، يألم لألم الآخرين ويفرح لفرحهم.

وهذا جزء من فطرته التي فطر الله الناس عليها.

وجاءت شريعة الله لتعزز هذه الفطرة وتأمرَ بكل ما يقويها من بر وصلة وتعاون وتكافل، وتنهى عن كل ما يقطع أواصرها من فرقة وأثرة وتقاطع وتدابر.

وراح الشيطان يوغر الصدور بالعداوات والنفوس بالتفرقة والاهواءَ بالشح والأثرة.

وبين لمة الملك ولمة الشيطان يعيش الإنسان، فالسعيد من لزم التعاون والبر والصلة والتكافل تقرباً إلى الله تعالى، والشقي من تناحر وتدابر وتقاطع وآثر نفسه وقطع الجماعة. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 106 – 108].

التعاون تفاعل بمعنى أن يعين المرء أخاه ويستعين بأخيه، فيعين القوي الضعيف والضعيف القوي، ويعين الغني الفقير والفقير الغني، ويعين العالم الجاهل والجاهل العالم، ويعين القادر العاجز والعاجز القادر. وتعين الجماعة الفرد ويعين الفرد الجماعة وبهذا تبنى الأعمال والأوطان والأمجاد.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصَّف:4].

(المجتمع المسلم كالبنيان المرصوص، بنيانٌ تتعاون لبناتُه وتتضامن وتتماسك وتؤدي كلُّ لبنةٍ دورها وتَسُدُّ ثغرتَها، لأنَّ البنيان كلَّه يضعف إذا تخلَّت لبنةٌ عن مكانها تقدَّمت أو تأخرت.

والبنيان كله يضعف إذا تخلَّت لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبيها).

في أيام الثورة المباركة جرت حوادث راقية في الشـــام في التعاون بين الناس زرعت في النفوس الأمل وفي الأيام التفاؤل. ونحن في هذه الأيام أيام بناء الدولة أحوج ما نكون لتعاوننا على الخير والبر.

جمع مدير عمالَه، وأخبرهم أنَّه يرى ارتفاع أسعار السِّلَع في الأسواق، ويرى الانخفاض النِّسبي لقيمة اللَّيرة، وبناءً على ذلك قرَّر مع المدير المالي أن يزيد أجور العمال بما يتناسب مع ارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة اللَّيرة، ليكون مشاركاً لهم ومتعاوناً معهم في النَّائبات.

ومِثْلُ هذا المدير مديرُ إحدى الشَّـــركات الخِدمية، فَعَلَ مِثْلَ الأوَّل وزاد عليه –كما يقول لي أحدُ موظفيه– بأنَّه طَمْأَن العاملين في شركته أنَّه لن يستغني عن واحدٍ منهم، وطلب إليهم أن يكونوا مطمئنين على وضعهم المالي والوظيفي، فهو لن يسرح أحداً منهم ولن ينقص أجر أحدٍ منهم، بل سيعطيهم رواتبهم الجديدة بما يتناسب وسعر الدولار.

وأراد أحد المغتربين السُّوريين مع عدد من أصحابه مساعدة المتضررين في الشام، فاقترحوا تزويد بعض العائلات بسلَّاتِ مواد غذائية وحَسَبوا قيمة السلة وجعلوها سهماً واحداً، ويمكن للمشترك أن يدفع قيمة سهم أو أكثر.

وكتب يقول: ولك أن ترى صور الإقبال على المساعدة والتَّعاون، فبعض الإخوة جعل أولاده يقدِّمون المعونة من مصروفهم الخاص، وبعضهم اقتطع 5% من دخله الشَّهري للمساعدة.

وأراد بعض المغتربين المساعدة بشكل آخر فكان أن أرسل لأهله أن يفتحوا داره هنا في البلد لاستقبال العائلات التي تضرَّرت دورها يمكثون فيها إلى أن يعودوا سالمين إلى ديارهم.

وقسم رجل بيته نصفين وقدم نصفه لعائلة متضررة وسَكَنَ وأهلُه في النِّصف الثَّاني.

ولأخٍ فاضل دار واسعة وعدد أفراد أسرته قليل، فرأى أن يستأجر داراً صغيرةً ليخرج وأهلُه من دارهم الكبيرة ويقطنوا الدَّار المستأجرة الصَّغيرة، ليجعل داره الواسعة عاريَّة لثلاث أسرٍ متضررة، كُلُّهُنَّ من النِّساء.

وقد سمعت عن عروسين كانا ينتظران حفلَ زفافهما بفارغ الصَّبر، لكنَّهما اختارا مُشْتَرِكَين أن يقتصرا في الحفل على أقلِ مظاهر الفرح والابتهاج، مواساةً للمنكوبين ومؤازرةً بنفقات العرس لأسر الشُّهداء والمجروحين.

وعن نساءٍ مرضعات فقيرات يسألن عن أطفالٍ رُضَّعٍ يشاطرنهم حليبهنَّ مع أولادهمَّ.

وعن حَمَّالين يؤازرون في تفريغ شاحنات المعونات متقاضين نصف أجورهم ومتبرعين بالنِّصف الآخر.

التَّعاون رحمةٌ من الله يجعل الصَّعب سهلاً والعسير يسيراً، ويلمُّ الشَّمل ويوحد الصُّفوف ويؤلف بين القلوب ويسد الثُّغور ويبني البلاد ويرفع العماد.

أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

أيها الإخوة:

بالتعاون نحقق أهدافاً مشتركة ونخفف الأعباء ونتقاسمها ونتبادل الخبرات والمعارف ونعزز الروابط الاجتماعية وروح الجماعة بيننا ولئن كنا محتاجين إلى التعاون فيما مضى فإننا اليوم له أكثرُ حاجة.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:2].

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَاللهُ فِي عَونِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَونِ أَخيهِ».

والحمد لله رب العالمين